

المصريون وقضية فلسطين

(بحث في قياس المعلومات)

د. عفاف القاخي

من المعروف ان اهتمام أي شخص بموضوع ما يتبلور، في نهاية الأمر، في صورة كمّ من المعلومات. وبناء على ذلك، اذا كانت المعرفة الموضوعية بإسرائيل، خاصة، والصراع العربي - الاسرائيلي، عامة، تعدّ، منذ بداية الصراع، جانباً أساسياً من جوانب المواجهة، فان تلك المعرفة قد أصبحت مسألة حياة أو موت، بالنسبة اليها، بعد ان دخل الصراع العربي - الاسرائيلي مرحلته الجديدة الراهنة^(١).

لذا، كان من الهام قياس هذه المعرفة من خلال مقياس للمعلومات. فمعرفة أحوال العدو، جميعها، تساعد على معرفة كيفية التعامل مع هذا العدو، والتنبؤ بالاستجابات المختلفة المتوقعة منه.

ويعطينا التاريخ الحديث مثلاً حياً على أهمية معرفة ودراسة سيكولوجية الشعوب، خاصة ما يتعلق بطرق التنشئة الاجتماعية السائدة، والطابع القومي للشخصية، بالإضافة الى معرفة القيم والاتجاهات والمعايير التي تميّز جماعة عن أخرى. وقد أصبحت دراسات سيكولوجية الشعوب، بالفعل، سلاحاً حربياً هاماً وحاسماً. ولقد استخدم هذا السلاح ضدنا، بالتحديد، في مواجهتنا مع اسرائيل العام ١٩٦٧. ولم يكن ذلك السلاح سراً عسكرياً استطاعت مخابرات العدو ان تظفر به منّا، أو شيء من هذا القبيل، انما «سمة سلوكية» يكمن جذرها السيكولوجي في أعماق تصرفاتنا اليومية البسيطة، وهي، على سبيل المثال، سمة التشاؤم والتفاؤل، وسمة الخوف المفرط من الوقوع في الخطأ.

لقد استخدمت اسرائيل معرفتها بهاتين السمتين السلوكيتين الرئيسيتين لدى المصريين، فقامت بإرسال الطائرات الاسرائيلية كلها تقريباً لمهاجمة الطائرات المصرية تاركة سماءها بدون غطاء جوي. وذكر مردخاي هود، تعليقا على هذا: «لقد كان رأي خبيرنا ان الصورة لن تكتمل لمن يملكون حق التصرف من القادة العسكريين في مصر قبل نصف ساعة، ثم نصف ساعة آخر ليذققوا في الأمر، قبل ان يقرروا ماذا سيفعلون؟ وهذه الساعة كانت كل أملنا؛ وعلى أساسها تم ترتيب كل توقيتات خططنا». ولقد أقدم الاسرائيليون على المغامرة على أساس السمتين السلوكيتين: التباطؤ في ابلاغ الانباء السيئة، والتردد في التصرف حيال المواقف الجديدة^(٢).

الى هذا الحد، نرى كيف ان معرفة العدو وأحواله المختلفة تقود الى نصر أحد أطراف الصراع على الطرف الآخر. ولكن هذه الدراسة لا نقصرها على معرفة العدو فقط، ولكن على معرفة المسائل والموضوعات والقضايا الحيوية والمصرية بشكل عام، والتي تتعلق بالقضية الفلسطينية، التي هي